إلى المعترضين علينا

للأب أنستاس مارى الكرملى

[تتمة]

٤ — نتيجة كلامنا مع الأستاذ المطار

لا يقال إلا البساتين الغن ، وإلا الدروع الحصد ، وإلا الكريات البيض ، وإلا الدروع الخضر . وأما قول القائل : البساتين الغناء ، والدروع الحصداء ، والكريات البيضاء ، خطأ ثم خطأ ثم خطأ . اللهم إلا إذا قدّمت على هذه النعوت كلمات منسوبة مفردة مؤنثة ، فيصح حينئذ مثل هذا القول : بساتين عيقرية غناء ، ودروع فارسية خضراء ، وكريات بيضية بيضاء ؛ وهذا القدر كاف لهذا الموضوع اليابس الناشف ، ولا نعود إليه بعد ، بل نحوّل أنظار السائلين إليه ، وهو الهادى إلى الصواب !

٥ — إلى الأستاذ الأفغانى

كنا نود — يا سيدى الكريم الجليل — أن تكلمنى بالعربية ، لأنى عربى وأجدادى من بنى مُراد ، لا بالأفغانية لسان أجدادك أهل الحسب والنسب ... نعم ، إنى كنت قد اجتلبت كتباً أفغانية من باريس ، لأدرّس هذه اللغة البديعة لكن الزمان لم يساعدنى على المطالعة ، فبقيت الكتب فى الخزانة من غير أن أنتفع بها إلى اليوم

قلت لى فى نبذتك فى (الرسالة) ١٠ : ٨٦٩ : وقد كتب (أى الأب أنستاس مارى الكرملى) الجملة الأولى بخط عريض وأنا لم أكتب عنوان المقال إلا بالقلم الدقيق كما يمكنك أن تطلب الأصل من صاحب (الرسالة) ليطلعك عليه . أما الذى رسمه بالقلم الريان ، وحضرتك تسميه الخط العريض ، فمن منضّد (الرسالة) ، تزييناً للطبع ولسطور الصفحة ، فلو جعلها كلها بقلم واحد ، لملّت النفس ، ونبا البصر ، وعاف القارئ المطالعة ونبذ الصحيفة من يده . وهذا ما تحققه بنفسك فى جميع نبذ (البريد الأدبى) ... إذن ، ليس المزكزك[1] بأنيئهن

(١) ليس المزكزك بأنيئهن مثل عربى قديم مشهور يضرب فى تساوى القوم فى الشر . راجع أمثال الميدانى الموقوف على تفصيل هذا المثل وسبب ضربه

لذلك ينبعث ترديده منتحباً

ولذلك يحرق كما يحرق البكاء

* * *

حين غربت الشمس — انطفأ اللون الأحمر للرمال المتوهجة فى جوف الصحراء فكأنها استحالت رماداً ،

وتردد فى نفسى صدى النغمة الأخيرة لهذا الصوت فأثار وجدى فقمت للوداع من زاويتى حيث كنت مستغرقاً فى خواطر .

كأن ذاكرتى لم تكن معى

عادت كأنما عادت من وراء أفق بعيد ؛

وكأنها يد وضعت على كتف روحى

وأعادتنى إلى الحقيقة .

تذكرت حينئذ زمناً من الأزمنة الماضية :

اجتمعت ليلة فى بيت صديق ومعنا (ساعى)[1]

ما كان أبدع ما غنى من (النزل) والأصوات !

كيف كوى بها قلوبنا ؟

وكيف امتلأت جفوننا بالدموع كالكؤوس خمر ؟

وكيف أصبح شيطان ألحانه ساقياً للعبرات ؟

إذا فاضت دموع التأثر من هذه العيون التى كانت ترسل دموع اللذة فى ذلك الزمن ، فلا بأس !

فإن فى هذه الأرض أصواتاً تجعل الغربة أنساً

وفيها مودتك المخلصة الغالية

ترجمة

محمود محمد شاكر

(١) مطرب تركى

وقلت لى : بخط عريض مذيل ؛ ولم أذيل الخط بشئ ، لعلمى أن ذيل الشئ جعل له ذيلاً ، وذيل الصحيفة كتب شيئاً فى ذيلها زيادة على ما فيها ، وهذا لم أفعله ، ولا أرى هناك ما يؤيد هذا الكلام

وقولك يا سيدى : بخط أفق ، لا ينطق به فصيح ، إنما ينطق به أرباب الهندسة ، وهو من معرب الكلام الحديث ، ورائحة التعبير الأجنبى تفوح منه . وأما ابن الناطق بالضاد ، فيقول : وتحته خط . وأحسن من ذلك أن يقال : وقد رسم بخط ريان (أو عريض؟) ، وخطّ تحته خطّا توجيهاً للأنظار .

ثم نقلت ، يا سيدى ، بعض العبارات من المعاجم تأييداً للخطأ وأنه أحسن من الخطاء . والدليل الذى أتيت به هو أن : أرباب الدواوين ذكروا الخطأ المقصور قبل الخطاء الممدود . وهذا برهان ينطق به الأطفال قبل الحلم ، وهل تكون إلى الآن بهذه السن ؟ ألا تعلم يا سيدى أن أرباب كتب متون اللغة يقدمون الكلمة القليلة الأحرف ، على الكلمة الكثيرتها . خذ بيدك أىّ معجم شئت ، وانظر إلى المصادر ، أو إلى الأسماء أيّا كانت ، تر أن الكلمة القليلة الأحرف مقدمة على غيرها . وكذلك يفعل أهل الحساب فإنهم يقولون : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، إلى آخرها .

وأما أن صاحب « الصحاح » ضعّف الحرف الذى « ذكر الأب أنه الصواب دون غيره » فهذا لا يعنى أنه مصيب فيما قال . يا سيدى إنك تعلم أن مؤلف الصحاح خُطِّئ فى كثير من أقواله اللغوية والنحوية ، فكيف تحتج بكلامه ، وتسر كل السرور لكونه نطق بتلك الكلم؟ وهناك من هو أعلى مقاماً منه وهو صاحب الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكرى ، وكان معاصراً للجوهرى ، وقد انتبه لهذه الحقيقة الأستاذ اللوذعى محمد غسان فنقل فى الرسالة (١٠ : ٨٩٢) ما ورد فى ذلك التصنيف المفيد من المقال الزارى على اللآل[1]

زد على ذلك أنى أحاول فى كل ما أكتب أن أتأثر أحسن من نطق باللغة المضرية باتفاق شهادة جميع قبائل العرب وجميع أمم الأرض قاطبة ، فانه كان يحب الازدواج والمشاكلة والإمتاع والمجانسة ، فقد قال مثلاً : ارجعن مأجورات غير مأزورات ، مع ما فى مأجورات من الغلط فى نظر بعض حتى اللغويين . فلما قلت الخطاء أردت أن أبين أن ما كتبه الناشران لكتاب الإمتاع فى آخره ، حين كتبا : خطأ وصواب ، كان يحسن بهما أن يقولا : خطاء (بالمد) وصواب ، مجانسة للوزن ، لأن كليهما على وزن سحاب ، فالقارىء يتذوق طيب هذه المشاكلة إذا ما رأى فيها هذه الموازنة

هذا ما أحببت عرضه على العلامة المحقق [الأستاذ الأفغانى] وله إعجابى وتحيتى !

٦ — الى الأستاذ داود حمدان

كتبت يا سيدى فى الرسالة (١٠ : ٨٧٠) مخطئاً قولى : « قال ابن دريد فى الجمهرة : « وبالصاد (أى الخص) أحسبها لغة لبنى تميم ، وهى لغة ابن النبر خاصة » . كذا فى تاج العروس وهو خطأ أيضاً . والصواب : « وهى لغة بنى العنبر ، إذ لا وجود لابن العنبر » اهـ

فانبريت لى من أقصى اللد وكتبت : « وقد يقال : عدم الجزم بهذه التخطئة أولى ، فبنو النَّبر لهم وجود . جاء فى القاموس المحيط فى (فصل الطاء وباب اللام) : وكـكتاب (أى طحال) كلب وع لبنى النبر . راجع القاموس المحيط ففيه شاهد لا يليق ذكره . » اهـ

---

(١) ليلاحظ أستاذى الأفغانى أن صاحب الفروق قدم الخطاء الممدود على الخطأ المقصور ، إذ قال : الفرق بين الخطاء والخطأ ، وإنما فعل ذلك لأنه لا يدون كلم معجم ، بل يرمى إلى صحة التعبير وصحة التقديم والتأخير فاعتراض صاحبى لا طعم له ولا ذوق ، ولهذا يحسن به أن يرجع عن كلامه إن كان يتوخى الحق والعدل ، لا الشق والعذل .

قلنا : لو كسرت براعتك المرضوضة ، وألقيت بها فى التنور ، وبقيت ساكتاً إلى أن يفيض التنور ، لكان ذلك أحسن لك ! وأنصحك نصيحة لله : ألا تكتب كلمة قبل أن تتدبرها كل التدبر ثم تعرضها على أصدقائك ، ثم تتأملها ثانية ، وتعرضها على أعدائك ، وحينئذ ابعث بها إلى أصحاب الجرائد والمجلات . وإلا فمثل هذه الخربشة والخربقة لا ترفع قدرك ولا تبقى لك أثراً طيباً !

إنك ياسيدى رأيت فى القاموس أن « طحال كلب و ع لبنى الغبر ... » وضبطت : « الغُبَّر » فى قولك هذا بضم وفتح مشددة فكم من غلط فى كلمة واحدة !

وأول كل شىء ، أن الغبر ، التى ضبطتها كسكر ، ضبطت فى القاموس المشكول كما ضبطتها . وأما ياقوت الحموى فضبطها فى معجمه : غُبَر كزُفر . والغلط الثانى أنه لم يدخل عليها أل ، وكذا ضبطها ابن دريد فى كتاب الاشتقاق ص ٢٠٥ من طبع أوربة قال : « ومن قبائلهم بنو غُبَر بن غَنم ، وغُبَر فُعَل ، ولم يعرفها باللام هو أيضاً

وضبطها صاحب جزيرة العرب — وهو الحجة العظمى فى هذه المادة « بنو غُبَر » على حد ما ضبطها ياقوت وابن دريد . وعندنا عدة نسخ خطية قديمة من القاموس وكلها تضبطها كزُفر وبلا لام التعريف . وقد قال صاحب القاموس نفسه فى مادة (غ ب ر) : غبر كزفر ولم يذكر فى ذلك التركيب (غُبَّر) كسكَّر

ثم لو فرضنا أننا صدقنا رواية القاموس الواردة فى مادة طحال ، فمن قال لك إن أولئك المسمين بنى الغُبَّر هم أصحاب تلك اللغة أى لغة قلب السين صاداً ؟ وقلنا : « وبالصاد (أى الصويق) وأنت كتبتها (الخص) فما هذه الخربشة ؟ »

نحن نقلنا ما نقلنا وقلنا ما قلنا لا على مجرد الوهم والتخيل ، بل على الحقيقة . فإن الجمهرة لابن دريد مطبوعة فى الهند وما ذكرناه منقول عنها مع بعض الاختلاف هو الوارد فى التاج لكنه قال : « لغة بنى العنبر » لا لغة بنى الغبر . وإن شككت فى ما أقول فما عليك إلا مراجعة الجمهرة فهى فى الأيدى لابتذالها فى الطبع . فما معنى هذا التحكك الذى أظهرته يا سيدى وأنت لا تملك من الكتب ما تؤيد مدعاتك ؟ فبنو الغبر كسكر لا وجود لهم ولا للغتهم . فإياك إياك يا سيدى العودة إلى هذا الميدان ، فإنه لا يصيبك منه إلا الهوان ، بعد هذا الامتحان !

(تم)

الأب أنستاس ماري الكرملي

أحد أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بغداد فى ٢٦ / ٩ / ١٩٤٢

ستوديو مصر يقدم أبطال الكوميديا والرشاقة فى مصر
سليمان نجيب . أمينة شكيب . تحية كاريوكا . فؤاد شفيق
مع نخبة كبيرة من أشهر الممثلين والممثلات فى
أخيراً تزوجت
إخراج الأستاذ جمال مدكور
حالياً — ٤ حفلات يومياً
بسينما ستوديو مصر س . ت ٢٩٧٣